السفير العربي

جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان

17

الخميس 27 آذار 2014 ـ الموافق 26 جمادى الأولى 1435 هـ ـ العدد 12734

AS-SAFIR Arabic political daily – March 27, 2014 N° 12734

1 أربعة نصوص يتساءل واحدها عن كيفية تجنيب العراق الإزالة من الوجود في ظل الاحتلال الصيني له، وآخر يعكس القلق الفلسطيني حيال الخيارات المتخذة، وثالث يستعرض أحداث يوم عادي من العام 2054، وأخير يرثي انقراض الكتب.

2 في 2054، امرأة تتولى مشيخة الأزهر. وشجرة العائلة صارت تحمل في أغصانها أسماء الجدات والأمهات وليس فحسب الرجال. و12 نصاً من الخليج العربي واليمن ومصر وسوريا وموريتانيا وتونس والأردن.

3 كيف تعطلت الحياة في مستعمرة معاليه ادوميم، بفضل الحرب الألكترونية ورفضت الآلات الاستمرار في الاشتغال. ومقابلة مع كاتب ونفساني كان شاباً في 2014. ومدوّنة «سيرة لاجئ» تنضمُ إلى صورة المستقبل المتخيلة والمشتهاة.

4

قيم مشتركة تنسج الغد

قال كتّاب السفير العربي ـ جميعهم ـ إنه التمرين الأصعب الذي واجهوه. أن يكتبوا أحلامهم بينما هم معتادون على رصد الواقع لالتقاط تشابكاته، معانيها والنبض الذي يحركها. ولكنهم كتبوا. أو بعضهم فعل. هذه 23 نصاً جديداً بأن يدرسها باحث ليخرج باستنتاجات. وبانتظار ذلك، أسجل أنها جميعاً، أو تكاد، تناولت فلسطين. وقد حذفت بعض تلك الإشارات تجنباً للتكرار، أو لضرورات اتساق النصوص أو الماكيت. جميعها تضع النساء في مرتبة لائقة، مساوية حقاً. هذا حين لا تكون النساء ومنجزاتهن الموضوع. جميعها تضيق بالعنف ولا تجد له مبررات مهما كانت. تخشى التفتيت. تدين الاستبداد. تمجد الحرية. تلك (وسواها) قيم أساسية مشتركة. ثمين أن تتظهّر، فهي تعبر عن القناعات العامة القائمة... التي تؤسس للواقع وتفعل في تغييره حين لا يتطابق معها. وكل هذا لا يمنع التنوّع الكبير ولا الاختلاف. والنصوص «المتفائلة» هنا هي كذلك، لأنها تتوقع أن تلك القيم الأساسية تحققت في الغد. «المتشائمة»، التي ترسم صورة (صوراً) سوداء، يتأتى تشاؤمها من عدم تحقيقها.

صادف أن المناسبة ـ عيد جريدة السفير الأربعون، بينما السفير العربي آخر مواليدها، ولن يكون الأخير ـ تجاوِر «يوم الأرض». فلسطين مجدداً. فلسطين دوماً. لذا اخترنا «بألف كلمة» من أرض فلسطين، من زهورها ورياحينها (ومن يضيق بالرموز أبله أو عدمي، فهي في قلب كل تاريخ). واخترنا على ذلك استبدال المعطيات الموجزة التي ننشرها عادة في أعلى الصفحات، بأبيات للشاعر الكبير محمود درويش، تجمع معاً الزمن والأمل وكل الحنين. «أوصيك بالمستحيل»، يقول شاعرنا. وقبله قال ثائر آخر كبير: «فلنكن واقعيين ولنطلب المستحيل»، وهي صارت شعاراً لحركات متمردة. يوتوبيا؟ لا وجود لحركة الواقع من دونها. وكنتُ ظننتها لصيقة بجيلي، فإذا بكتّاب السفير العربي، وأغلبيتهم الكبرى شباب، يغالطونني. يا للفرح!

نهلة الشهال

العدد الأخير..

أربعون عاماً مرّت على عجل. باتت ثمانين وأنا جالسة مكاني، لا أفعل شيئاً أكثر من رفع الإصبع والعدّ تصاعدياً. مدهوشة على الدوام. أنظر إلى التفاصيل، وأقلّب العدد الـ86 من ملحق السفير العربي. يومها صدرعددٌ خاص احتفاءً بالعيد الأربعين للجريدة. أذكر جيّداً استعدادات تلك الفترة، على الرغم من السنين الكثيرة التي مضت. صدرنا حينها بتاريخ 27 آذار 2014 (يلتفتُ إليّ الآن في المقهى رجل تبدو عليه ملامح اسبانية، ليعرف سبب شهقتي العالية). لم أكن أظنّ أن الوقت سيمضي سريعاً هكذا.

اليوم 27 آذار 2054. استيقظت على الضوء الأحمر وهو يملئ غرفتي. هذه رسالة صوتية جديدة. أفتحها وأنا في السرير، لأتفاجأ بأنه ارنست. لم نتبادل أي رسائل منذ فترة. يسألني سريعاً عن سبب تغيير مكان أقامتي ويسأل عن احتمالات عثوره على ما كتبه في «السفير العربي» بشكله الورقيّ. يُضحكني طلبه. ارنست الذي لم يهتمّ يوماً بقصاصة ورقية واحدة. ودائماً ما ضحك ساخراً من محاولاتي الاحتفاظ بأرشيف ورقيّ. كان يردّد، على الدوام بأنّ «المستقبل للالكتروني»، وما أحمله بيدي لن يُحفّز إلاّ كثيراً من الصراصير والحشرات لغزوي.

سأردّ عليه الآن بجملة واحدة «لم يحصل يا همنغواي، لم يحصل وها هو الحنين يقتلك». فعلياً أنا كنتُ أتحضّر لغزوات شوق. لمس الجهد بأصابع اليد لا يعادله شيءٌ آخر. أخاله يحضن الشاشة الرفيعة أمامه الآن. سألتقيه ونضحك طويلاً. أرجّح أنه يبحث عن أرشيفه لأسباب تتعلّق بولديه.

ما زلتُ في السرير، ومنه أبدأ التقليب في مكتبتي. أجد الزاوية المخصّصة لما حملته معي من أعداد «السفير العربي». انهض من مكاني متوجهة إليها بهدف إخراجها والاطلاع عليها. أفردها فوق الطاولة الأقرب. احتفظ بثلاثة من كلّ عدد، تماماً كما أخرجتها معي من لبنان. إنه يوم اثنين، يقع تحت يدي عدد استثنائي. كان عدد العيد الأربعين للجريدة. هذا ما دفع ارنست نحوي اذاً. كعادته، تذكّر قبلي.

الآن بين يديّ ما تمناه/توقعه/أمله كثيرون حينها، لهذا اليوم. يبدو لي أن عدّ السنين أغراهم. غاصوا في خيال لم يجد له مكاناً بعد. أتذكّر على عجل اصدار الملحق قبل أربعين عاماً. يرنّ هاتفي. هذا عمر الجفّال. ترك العراق منذ سنين ولا يزال مقيماً في علب من الحنين غير المنتهي. يسألني عن مركز الأبحاث، لديه نيّة بإعادة تواصله معهم. راسلهم مراراً ولم يحصل على أيّ ردّ. يستغرب الأمر كثيراً. لا «سفير عربي» اليوم. الملحق الذي حاول، قبل أربعين عاماً، كسر القالب السائد، عبر مادة بحثية قابلة للقراءة من كل الناس تحول إلى مركز أبحاث كبير.

حصل على التمويل اللازم للعبور، وحقّق خطوة نوعية في العالم الإلكتروني.

العدد الورقي الأخير كما يظهر أمامي الآن كان عام 2019. التمويل انتقل بطاقم العمل وكذلك التقنيات، وكلّه بات أكثر تطوراً. عندما تركت لبنان كان «السفير العربي» ما زال على حاله. عدد ورقي والكتروني، يصدران كل يوم خميس مع جريدة السفير. في لحظة عبرت أمامي أيام كثيرة: الاثنين وفوضى ايجاد صور العدد، الثلاثاء والسهر لإنجاز «ماكيت» العدد، الأربعاء والتفرغ للشقّ الالكتروني... أُخبر عمر أني هائمة على وجهي أقلّب أعداد الملحق. يضحك طويلاً محاولاً تذكيري بفترة حكم المالكي. يدفعني بقوة إلى فايسبوك، لأعود بصفحته إلى العام 2013. نجد صورة المالكي مكتوب عليها «أكشنها». نحاول تذكّر عدد ما كتبه عن الفساد. يخبرني أنّ كل شيء على حاله، ما تغيّر هو فقط انتقال أغلب أبناء جيله للعيش خارج ذلك الكوكب. عندما انفجرت سيارة أمام مكان عمله العام 2014 ونجا صدفةً منها، أخبرته أنه سيعيش طويلاً، فقط لو أخذ القرار بالفرار. نتذكّر وننهي الاتصال.

أقلّب في بريدي الالكتروني. هذه رسالة من زهرا. تخبرني أن مجد يرفض الخروج من حيفا. قلبه عالق هناك. لا أردّ. أعلق في مقالة وقّعتها في تشرين الثاني من العام 2012. كان العنوان «تويتر نالوا منك!». أقرأ وأضحك. هذا خبرٌ عن ملاحقة «مغرّدين» ناشطين على تويتر من قبل السلطات البحرينية والحكم عليهم بالسجن لسنوات. هذه سلطة لا أثر لها اليوم، فقط ذكريات كثيرة عن بطشها. انهارت عقب الجولة الثانية من الثورة البحرينية. اختنقت الناس حينها فانتفضت وأنهت ذاك الشيء الذي أطبق على عنقها طويلاً.

في نصّ آخر أقرأ « من اليوم وصاعداً، سيحمل رجال الشرطة أدوات حلاقة في الشارع. ماكينات وموسى لحلق أول رأس مخالف يقع بين أيديهم. ستتعب حماس. أوكلت إلى نفسها إصلاح «أخلاق» الناس. لن تترك تفصيلا صغيراً يفوت». أحاول تذكّر الحادثة. أستعيد بعضاً من الضجة التي حصلت حينها. أين حماس اليوم؟ متى كان الخبر الاخير الذي قرأته عنها؟ كان هذا في سنوات مضت. غزة اليوم أجمل.

أفرد صفحات الملحق. إنها السادسة صباحا الآن. مرّ الوقت ولم أنتبه. أتّصل بارنست. أُسرّ له بأنّ مقالاته بين يدي وبأنني أقرأ بسعادة عالية. تعود نقاشات الثورة السورية، تأتي نسائمها لطيفة على الرغم ممّا تركته من وجع. هذه ذكريات لزمن مضى. أفردنا الكثير من النصوص للكلام عن حقّ المرأة السعودية بحياة أفضل. ما زلنا مكاننا، لولا بعض الانجازات. بات بامكانها الدوس على البنزين وقيادة سيارتها الخاصة. لم نعد نسمع عن فتاوى غريبة. خفّ وهجها وانحصرت. أمراء وشيوخ ما زالوا في حكم «الضيع الصغيرة»، بلادهم. ورث الأبناء والحال على حاله باق. لم يتغيّر الكثير، خطوات بسيطة إلى الأمام. أعداد المهاجرين في ازدياد.

كلّ من خرج ما زال هائماً في نوبات من الحنين، لا يعود ولا هو قادر على البقاء. أزمتنا مستمرة منذ سنين، منذ أربعين عاماً وأكثر.

زينب ترحيني

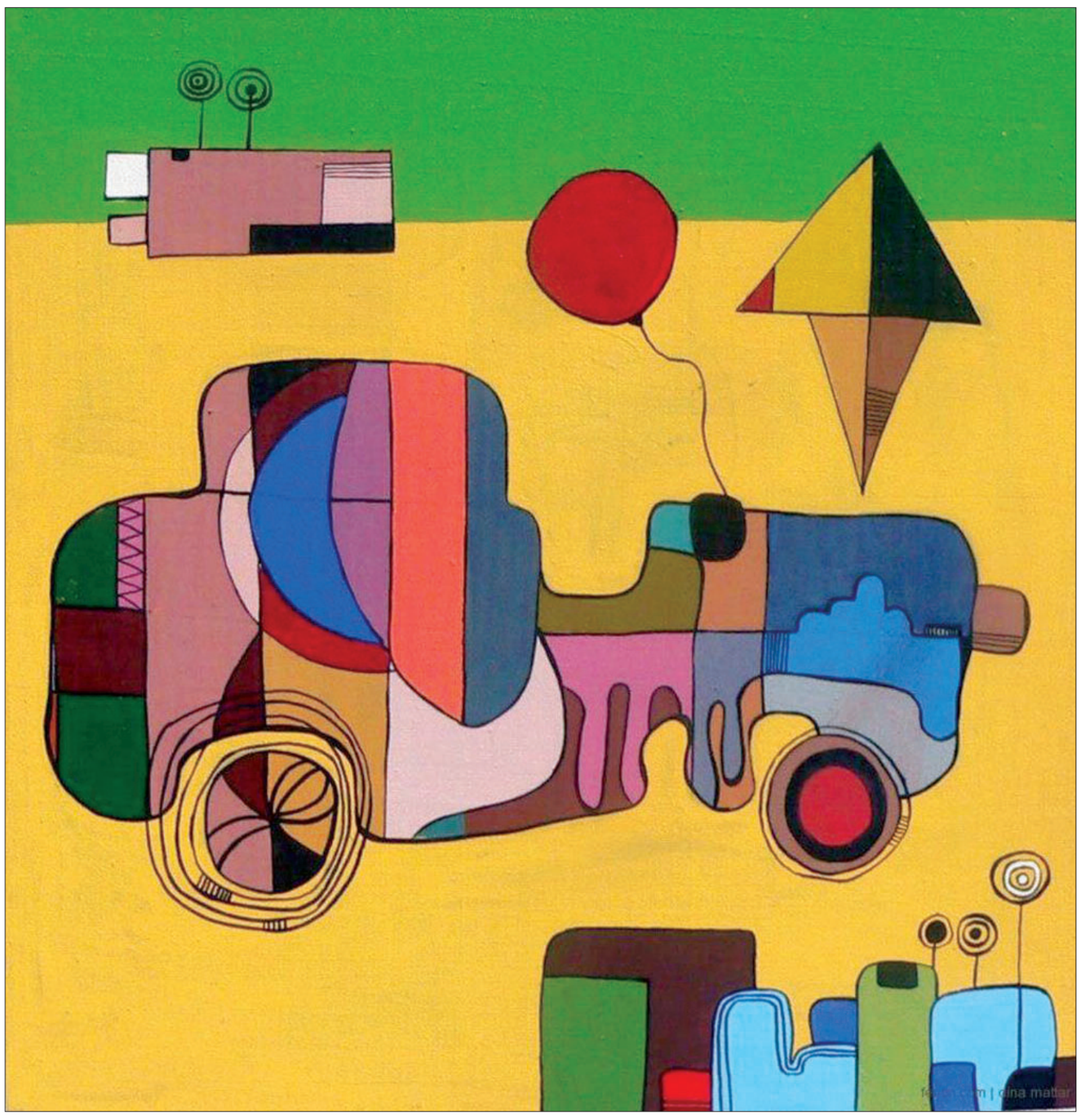

دينا مطر ـ فلسطين

الاستسلام للقدر

جلس الناس مع بعضهم وقرروا أنهم في مركب واحد. هناك أحد احتمالين: إما أن يتوقفوا عن التفاهات وينتبهوا للبلد التي تضيع، أو لا يتوقفوا عنها في انتظار ضياع البلد. وقرروا ألا يتوقفوا عنها وأن ينتظروا ضياع البلد.

حدث هذا في عام 2020. بفندق فيرمونت بالقاهرة. أحد ممثلي قوى المعارضة كان عنيفاً، صرخ: إلى متى سنلعب بينما تضيع البلد. فقال له رئيس الوزراء، حتى تضيع البلد. وهكذا تمت إخراس حجة المعارضة.

كانت جملة رئيس الوزراء الميثاق الذي سارت عليه البلد حتى لحظتنا هذه، سنظل نلعب حتى تضيع البلد. ومن ساعتها عرفنا الهدف من هذه الحياة. أن نهتم بالتفاهات، أن نستسلم للقدر.

استسلمنا للقدر. قررت النخب السياسية ألا تشغل نفسها بالصراع حول مستقبل البلد، ولكن كانت هناك مشكلة، فشباب كثيرون لا يريدون الاستسلام للقدر. وثار سؤال فلسفي: هل وجود شباب لا يريدون الاستسلام للقدر هو جزء من القدر أم لا؟

تم الاتفاق على أن هؤلاء الشباب هم جزء من القدر، لأنه حتى لو لم يتم الاتفاق على هذا، فهم فعلا جزء من القدر. علينا أن نستسلم لهم. تمت تسمية العشرين عاماً التي تلت 2020 بعقدي انتشار الماسونية. تم تعميم اسم «ماسوني»، على كل من يطيل شعره، على كل من يلعب موسيقى «هيفي ميتال»، على كل من يكتب أدباً أو يعمل في الصحافة، على الناشطين السياسيين والحقوقيين والجندريين. تم تعميم اسم الماسونيين على كل هؤلاء. وبالنتيجة، تخلصت كلمة «ماسونية» من حمولتها السلبية. قام هؤلاء الشباب بتظاهرات احتجاجية كثيرة، ثم عادوا لبيوتهم.

والمخدرات: انتشرت المخدرات في مصر انتشارا غير مسبوق، طبعا الحشيش والأفيون وسائر المخدرات اللطيفة، والتي تم تقنينها في العام 2022، في إطار حملة الاستسلام للقدر، بالإضافة للكوكايين والهيروين والإكستاسي.

كانت هذه هي أزهى عصور الحرية الاجتماعية، والحجاب الذي ارتدته الفتيات على مدار عشرين عاما، من سبعينيات لتسعينيات القرن الماضي، عُدْن وخلعنه على مدار عشرين عاما، من عشرينيات لأربعينيات القرن الحالي. العلاقات الجنسية الحرة انتشرت بشكل غير مسبوق. تصالح المجتمع معها في إطار استسلامه للقدر.

لم تتغير الحكومة بالمناسبة، نعيش في ظل حكم عسكري، صحيح فاشل ومهترئ، ولكنه ما زال حكماً عسكرياً. توازى ذلك مع تزايد نفوذ ميليشيات الإخوان المسلحة المتحالفة مع القاعدة وأنصار بيت المقدس. ميليشيات الإخوان جزء من اللعبة السياسية، وهم طرف مهم في الحفاظ على التوازن في الحرب الإقليمية القائمة بين السعودية وقطر. استمرت الحرب بين الجيش المصري النظامي وبين ميليشيات الإخوان. وفي كل معركة يخسر كل منهما أكثر. أصبح الوضع في مصر شبيهاً بالوضع في لبنان منذ نصف قرن. قوى كثيرة تتصارع ولا أحد يحسم بينها. مؤسسة الأزهر خرجت بفتوى مفادها أن علينا العودة للإسلام الصحيح، حيث لا فرق بين جندي نظامي وبين إخواني إرهابي، وأن الإسلام الحقيقي لا يفرق بين العنف الإرهابي والعنف النظامي، ولا يفرق طبعاً بين سني وشيعي وماسوني. أنا شخصياً، كمثقف بارز، وقعت منذ أيام على عريضة تطالب بوقف الاقتتال بين الجيش النظامي والإخوان. الأزهر كان هو من أصدر الوثيقة، والمثقفون طبعاً يثقون بالأزهر.

بمناسبة الشيعة: تزايدت أعدادهم كثيراً، حسينيات كثيرة تم بناؤها في البلد. ثم فجأة، في حوالي 2025، بدأوا يطالبون بحقوقهم. هذه المرة مدعومين بقوة عددية كبيرة. وبسبب أعدادهم، تم ضم حسينياتهم إلى وزارة الأوقاف. والأزهر بدأ يتصالح مع تاريخه الشيعي. حدث هذا على مدار سنوات طويلة. وفي كل مناسبة دينية يحرص التلفزيون المصري على تصوير فضيلة الشيخ مع سماحة السيد وهما يقبلان بعضهما البعض، ثم يبتسمان للشاب الماسوني الذي يصافحهما بدوره.

التلفزيون المصري ما زال موجوداً. السماء مكدسة بالقنوات الفضائية ومحطات الإنترنت التي تبث من أي مكان وإلى أي مكان، مليونا محطة إنترنت، أنشأها هواة ومحترفون، كل من بيته، لتبث إلى من يريدها. ولكن التلفزيون المصري، المعروف باسم ماسبيرو، ظل صامداً في مبناه على الكورنيش. يشاهده يومياً ما لا يزيد عن ثلاثين إنساناً، ولكنه صامد، صامد لأنه جزء من دستور 2035 القائم على مبادئ اجتماع 2020: سنظل كما نحن حتى تضيع البلد.

أزمة مرورية طاحنة اجتاحت البلاد في الأربعينيات. بدأ يتزحزح موقع الشحاذين، من كانوا يفترشون الأرصفة قبلها احتلوا الآن نهر الشارع. مجموعات كبيرة من الشحاذين تنام في عرض الشارع. فقط منذ خمس سنوات، صدر تشريع بإعفاء السائق الذي يدهس شحاذا من العقوبة. ولكن هذا احتاج تشريعاً إضافيا: كيف سيتم التمييز بين المواطن العادي والشحاذ، والشحاذ لا يحمل هوية. حدثت جدالات كثيرة بهدف تعريف من هو الشحاذ، وذلك حتى نشر مستشار قانوني مقالاً فند فيه الاهتمام بهذه القضية، وأدان محاولة إصدار تشريع جديد على اعتبار أن هذا يتناقض مع مبادئ اجتماع 2020 الذي كانت مادته الأساسية أننا سنظل كما نحن حتى تضيع البلد. وهكذا انتهت الأزمة المرورية وتوفي في عشر سنوات ما يزيد عن خمسة آلاف شحاذ، ممن هم عالة على الاقتصاد الوطني.

الآن، في عام 2054، ما زلنا ننتظر ضياع البلد. الأيام بطيئة. كل يوم يعدُونَنا بأن ضياع البلد قادم قريباً، ولا يحدث شيء. المزيد من الوعود والتمنيات ولا شيء يحدث على أرض الواقع.

نائل الطوخي

روائي ومترجم من مصر

«البرصاية» جدل السودان السياسي الجديد

أختارت السيدة عزة عبد الرحمن المرشحة لرئاسة الجمهورية في السودان، التي تبدو الأكثر حظاً للفوز، منطقة البرصاية في ولاية جنوب كردفان لإطلاق حملتها الانتخابية. في خلفية مكان الاحتفال صورة كبيرة تعود الى قرابة نصف قرن من الزمان، تضم النائب الأول لرئيس الجمهورية وقتها، علي عثمان محمد طه، يفتتح أول حقل لإنتاج النفط في السودان في العام 2012، وذلك بعد انفصال جنوب السودان في دولة مستقلة قبل ذلك بعام. ويلاحظ في تلك الصورة ان كلمة «البرصاية» تبدو مختلفة عن بقية شكل الكلمات وكأنها أضيفت على عجل وبخط اليد. وهو ما حدث فعلا. فحتى قبل بدء الاحتفال، كان الاسم الرسمي للحقل هو «النجمة»، لكن أهالي المنطقة أصروا على ابراز اسم منطقتهم والا عطلوا الاحتفال.

تلك الحادثة شكلت ركناً أساسياً في برنامج ابنة المنطقة عزة، الذي لا يقوم على بذل الوعود كما هو الحال مع ساسة المدينة، وإنما على دعوة القوى الحية من النساء والشباب والمنتجين في المناطق الريفية الى لعب دور أساسي في تشكيل الحياة السياسية والاقتصادية في البلاد، والاصرار على حقوقهم وعدم انتظار الفتات من المركز. وتذهب المرشحة عزة في تحليلها الى القول إن ما حدث في البرصاية تكرر بعد ذلك بصور مختلفة في ليبيا عندما أصر اقليم برقة على نصيبه في ثروة البلاد النفطية، وكذلك في العراق الذي أصر أكراده ان تكون لديهم سيطرتهم المستقلة على مواردهم النفطية، وكل ذلك فرض واقعاً جديداً على الصناعة النفطية العربية يتقاطع ويختلف عما كان سائدا خلال المئة عام السابقة عندما كانت تلك الصناعة تدار بصورة مركزية.

السيدة عزة ليست المرشحة الأولى للرئاسة في تاريخ السودان، فقد سبقتها أخريات خضن التجربة، لكن حملتها الانتخابية تقوم على خطاب يرى انه آن الأوان لتسلم قيادة البلاد التي ظلت مأزومة، الى النساء. وقالت ساخرة في إحدى مقابلاتها التلفزيونية إن القيادة النسائية لن يكون أداؤها أسوأ مما فعله الرجال بالسودان. ففي عهدهم انفصل جنوب السودان وراجت دعوات لحق تقرير المصير في كل من دارفور وشرق السودان.

النقطة الرئيسية التي تركز عليها المرشحة عزة انه بسبب أحداث العنف المتواصلة في السودان وعمليات النزوح والهجرة الداخلية، بسبب الجفاف والتصحر وضعف أو غياب المؤسسات الحديثة والتقليدية، فإن العبء وقع على المرأة للحفاظ على الاسرة بمختلف الصور، وهو ما دفعها الى تأكيد استقلالها الاقتصادي عبر مختلف المهن الهامشية في البداية. ومع دخول أجيال جديدة الى سوق العمل أصبح الوجود النسوي رئيسياً في تشكيل الحياة العامة في البلاد، كونهن يمثلن نسبة أكبر من النصف في الوظائف العامة في الدولة والى حد كبير في القطاع الخاص، وهو ما وجد تعبيره السياسي في النص على أن تصبح ربع مقاعد المؤسسات التشريعية مخصصة للنساء، ولو ان النسبة الفعلية تجاوزت ذلك في واقع الأمر، وهو ما يدعو الى أن تصل الامور الى خواتيمها المنطقية وتتولى النساء قيادة البلاد.

ومع ان برنامج المرشحة عزة يشير الى فشل النخبة في المركز ومسؤوليتها في تأزيم أوضاع البلاد بغض النظر عن لونها الحزبي وخلفيتها الفكرية أو عن كونها عسكرية أو مدنية، الا أنها في الوقت ذاته تسجل موقفاً مخالفاً للمعسكر الذي يصطف تحت لافتة الهامش داعياً الى أعمال العنف لاستخلاص حقوق مناطق الهامش وأهلها من المركز. ولهذا يرفع هؤلاء شعار «قسمة السلطة والثروة». وفي نقدها لنظرية تسييد الهامش، تقول المرشحة عزة إن نخبة الهامش تريد في واقع الأمر اقتسام الكعكة مع نخبة المركز، وهذا ما يشير اليه سجل طويل من اتفاقيات أبرمت مع الكثير من قيادات الهامش لكنها لم تنعكس واقعا أفضل على أهل ذلك الهامش.

وهي ترى في ما جرى في منطقة البرصاية من إصرار أهلها على إطلاق اسم منطقتهم على الحقل النفطي مؤشرا على أخذهم حقوقهم بأيديهم، لا لمصلحة قيادات تسعى الى الالتحاق بالمركز. ولهذا، وبدلا من عبارة «قسمة السلطة والثروة»، تطرح عزة في برنامجها فكرة سيطرة قوى الهامش على مقدراتها في المستوى القاعدي وتوليد الثروة قبل تقسيمها لمصلحة المنتجين في الأساس.

أحد الأعمدة الرئيسية في برنامج المرشحة، وينقله إلى أرض الواقع، يتمثل في الاهتمام بقطاع الصمغ العربي. فهو منتج للسودان فيه ميزة نسبية، ويدخل في صناعات الأدوية والحلويات وغيرها. وتسهم أشجار الهشاب والطلح التي يُنتج منها الصمغ في توفير حماية طبيعية للبيئة، فإن أكثر من 65 في المئة من القوى البشرية العاملة في إنتاج وجمع الصمغ هي من النساء، وهي نسبة قابلة للزيادة فيما لو تحسنت وسائل وأدوات الإنتاج والجمع والفرز. وأي تحسن في هذا الجانب،إضافة لتقليص عدد الوسطاء، يمكن أن ينعكسا تحسناً في العائد الذي يحصل عليه المنتجون مما يساعد في ترقية أحوالهم المادية والاجتماعية.

وفي واقع الأمر، فإن لها برنامجاً طموحاً من أهم عناصره العمل على إعادة تصنيف الصمغ العربي عنصراً غذائياً، لا مادة مضافة فقط، وهو ما يتطلب جهداً ديبلوماسياً وأكاديمياً ضخماً حتى يمكن انجاز إعادة التصنيف هذه عبر المؤسسات الدولية، مثل منظمة الأغذية والزراعة العالمية، أو الصحة، ومؤسسات التصنيف الأميركية والأوروبية. واذا اكتملت هذه العملية، فإنها تفتح الباب أمام استخدامات لا حصر لها وفتح سوق ضخم بمليارات الدولارات يمكن أن ينعكس على الحياة اليومية لأهل الهامش ومعه بقية أهل السودان. فتحسن صحة وأوضاع أهل الريف والهامش يشكل الأساس لتحسن أوضاع السودان عموماً. وهذه هي ملامح البرنامج المخالف الذي تطرحه المرشحة عزة عبد الرحمن ويشكل نقلة في النقاش السياسي للبلاد.

السر سيد أحمد

كاتب صحافي من السودان مختصّ بقضايا النفط

العربي
السفير

27 آذار/مارس 2054

وقال: إذا متّ قبلكَ، أوصيك بالمستحيل
سألت: هل المستحيل بعيدٌ؟ فقال: على بعد جيل
سألتُ: فإن متّ قبلك؟ قال: أعزّي جبال الجليل
(محمود درويش ـ من «طِباق» في رثاء ادوارد سعيد)

رسالة الى حبيبتي التي اغتيلت

هل أخطأنا يا نجوى؟ لا أعرف. لكنّ قدرة من يسرقون أحلامنا على حرف كل خطوة وفكرة عن مسارها لتحقيق رغباتهم، بدأت تجعلني أشك بكل ما فعلناه طوال هذه السنوات. وفي هذا السنّ، صار للحاضر معنى أكبر، بتضاريسه المركّبة وتعقيداته. لا قصص الماضي ولا صور المستقبل، كلاهما لا يحملان تضاريس الحاضر. والحاضر يا نجوى، هو أن نعمل بحسب الظروف الموضوعيّة. لم ننتبه إلى أن العمل السياسي اليومي ضمن المؤسسات التي تملي واقع الناس، هو الحاسّة الوحيدة لاكتشاف تضاريس الحاضر. لقد كنّا نتخيّل المستقبل، يا حبيبتي، صورة مسطحة على الحائط لها بعد واحد. وها هو المستقبل: ليس إلا حاضرا آخر يرزح أمامنا بكل تشعّباته. لقد تخيّلنا السياسة فعلاً يسوعياً، واعتقدنا سقوط الصهيونيّة خاتمة الكوارث، حتى نزل المستقبل من صورة الحائط إلى الأرض، ورأيناه. كان ذلك يوم الأحد، قبل سبع سنوات، أتت سهير ويارا ومعهما سعيد وقالوا إن عصابات السلام الدائم نجحوا باغتيالك بتفجير الـsprit. عندها فقط فهمت.

إن بعض رفاقنا في الحركة اللاسلطويّة أخفقوا في فهم ما تركته من أثر فكريّ. فهم يرون العداء لنظام شركات السلام الدائم جوهر المعركة اليوم، ولا يرون أن الحالة السياسية والاجتماعية التي باتت تتركب عليها البلاد، لا يمكنها أن تنتج أي حال آخر. لا أحد مثلك يعرف عمق الفجوة بيني وبين حماس. لا أحد مثلك يعرف كم أبغض الجابريين وثقل دمّهم الارستقراطي، والجميع يعرف أني لا أتفق مع التروتسكيين. لست في مكان الدفاع عن أي منهم، لكني أرى قرارهم بالحفاظ على التهدئة بعد اغتيالك قراراً صائباً. لأن نظام الشركات الجديد هو الوحيد المستفيد من الوضع القائم ليؤكّد شرعيّته في مواجهة سعينا السياسي لمنظومة قانونيّة واحدة تحكم البلد. إنهم يريدون للمعارك بين العائدين من اللجوء وبين فلسطينيي الـ48 أن تستمر، ليتمكّنوا من بسط النظام التجاري على كلّ شيء. هل تسألين عن المستقبل؟ إننا إذا بقينا على نهج العنف الداخليّ هذا، سنفقد في غضون أعوام قليلة الدولة التي ناضلنا لأجلها لأكثر من أربعين عاماً، وقبلنا ناضلوا لعقود. وسيصير لنا بدل نظام الدولة، انظمة: يشترك كل واحد منّا بنظام دولة مثلما يشترك كل واحد منّا بمزوّد sprit.

إن ما لا يفهمه الرفاق اليوم أنّ نظريّتك في أعقاب الثورة السوريّة، عن التسليح البيتي واستخدام الاسلحة التي يمكن تصنيعها من المعدّات الموجودة في أي بيت، أتت لوقت غير وقتنا وعدو غير عدوّنا اليوم. وأنها أتت لرسم الحدّ الذي يقف عنده المناضل بين وهم الثورة اللاعنفيّة من جهة، والرضوخ للتسليح المشروط من القوى العظمى، من جهة أخرى. وهم يتجاهلون كليا أن في هذا الحدّ الميداني الذي وضعتِه، حداً أخلاقياً لحجم الدم وحجم الآلية العسكريّة التي يُمكن للمناضل أن يسمح لنفسه بهما، ويتجاهلون أننا اليوم، وكل واحد منا يمتلك مطبعة 3D ومطبعة كيماويّة موصولتين بالحاسوب، تمكّناه من تصنيع أي آليةٍ عسكريّة يرتكب بها مجزرة. هل تشاهدين من فوق، يا نجوى، بشاعة ما يحدث في وادي النسناس والحلّيصة؟

حماس ليسوا أبرياء. وعلى كل الأحوال فلسنا لعبة عندهم كما يريد بعض الرفاق وصفنا. لكنّ موقفهم في هذه الأزمة، ورغم أنه ليس محايداً، ينبع من مبدأ أساسيّ، وهو ضبط نظام واحد للجميع، بموجب قوانينه تحسُم قضايا أملاك اللاجئين وبموجبه يُعاد تقسيم الأراضي. أما فتح، ورغم أن الكثير من قياداتها تتحرك بدافع نصرة اللاجئين بعد سنوات الغبن هذه، فإنها تلعب دوراً متعنتاً لا يريد الوصول إلى صيغة موحّدة. لا يمكن أن نقول إن كل شيء يجب أن يعود إلى ما كان عليه. الحياة لم تتوقف قبل مئة وستة أعوام. وإن كانوا فعلاً يريدون ذلك، فلماذا يدفعون بأنصارهم إلى التوجّه للشركات لتعقد صفقات مع مثيلاتها التي تخص السكّان الحاليين، وضمن منظومة داخليّة حسمتها رؤوس أموال الفلسطينيين واليهود فيما بينهم، من دون أدنى قواعد للشفافيّة، ومن دون شعاع معلومات عن الطرف الذي تذهب إليه حصص العمولة من أراض ومبان. ومن الأساس، لمصلحة من لعب طرد الطبقة اليهوديّة الوسطى من دون غيرها من الطبقات؟ حماس لها منفعة في دعم السكّان الحاليين؟ ربما. لكن هذا الشباب الطائش اليوم في حركتنا، والذين يريدون أن يطلقوا النار ويعادوا الجميع من دون أدنى شعور بالمسؤولية، نحن نعرف جيدا من كانوا ذويهم، وفي أي ترف فكريّ وماديّ كانوا يعيشون. وأننا حين كنا نتوسلهم لننزل إلى أحياء الفقر في الحليصة والسوق قبل أربعين عاماً، ونفشل، كانت الحركة الإسلاميّة تجمع لهذه الأحياء أموال الزكاة.

التقيت يوم أمس بابنتك روزا، وحدّثتني عن عملها البحثيّ. فرحت جداً عندما عرفت أنها قُبلت في جامعة دمشق، فهذا شرف لا يناله الكثيرون. هل تذكرين كل ما كنا نقوله عن بؤس الأكاديميا وتهافتها؟ إنه يتبدد فجأة حين أرى روزا تتحدّث عن عملها. إنها تبحث الأمراض النفسيّة عند قيادات المجتمع المدني في الـ48 في أول عقدين بعد أوسلو. لم أنتبه يوماً لهذه الظاهرة. بالفعل، عدد كبير من الشخصيات الفاعلة في الجمعيات الأهليّة انتهى بها الأمر إلى المشافي النفسيّة. وأنا أيضاً سأُجنّ. لأني لا أستطيع أن أفجر رؤوسهم. لأني لا أستطيع أن أنتقم لدمك. ولأني بدل ذلك مضطر للجلوس في برلمان نعرف كلنا أنه لا يقدّم ولا يؤخّر في هذه الظروف. إنما، لا بدّ من ذلك.

لقد بدأ زوجك يزعجني. إن الحبّ، مهما عظم، لا يمكن أن يحوّل العمل السياسيّ إلى رهينة العاطفة. وليت دعوته لعسكرة النضال ضد شركات السلام الدائم تكون فقط من باب رغبة الانتقام لدمك. فقد بدأت أشعر أنها تتحرك بالأساس بدافع إظهاري عميلاً ومتواطئاً وخائناً لدمك، وأبحث عن منصب. لكني على ثقة بما أفعل، وعلينا ألاّ نترك مجازر الصهيونيّة عشية سقوطها تحوّلنا وحوشاً. علينا أن نعيد الحدّ الأدنى من العقلانيّة والتفاهم الاجتماعي إلى الحيّز العام الذي بدأ يتآكل. فكّرت أن موتك سيمسح كلّ شيء بيني وبينه. فكرت أنه سيكون فرصة لنعود إلى العمل الحقيقي، ونبش الحاضر لتحقيق المستقبل الذي نحلم به. لكنه لا ينسى. العمى. صرنا 2054، والماضي لا يريد أن يموت...

مجد كيال

كاتب فلسطيني من حيفا

رسم: فرات شهال الركابي

ودنيا ريشة فهوا طايرة من غير جناحين

استعادة أحداث في يوم عادي

استيقظت مبكرا اليوم 26 آذار/مارس 2054. كانت السماء صافية ورائقة، بينما كانت هذه الفترة تتميز في شبابي بما كان يسمى السحابة السوداء بسبب التلوث الكثيف. جلست سعيدا للصحف بعدما تجولت على القنوات الفضائية. وعنّ لي هذا الصباح أن أرصد أحداث بعض الأشهر الماضية وربطها بالأخبار المبهجة التي بدأتُ بها يومي. فقد تكونت لديّ عادة المقارنة بالحقب التاريخية الخالية. وهذا موقف من عبَر التاريخ. فقد كان الزمن العربي قبل أربعين عاما قد تجمد في الماضي الذي كان يحكم حاضر الناس والذين تركوا مستقبلهم خلفهم. كان «الزمن الذهبي» دائما في الماضي، واليوتوبيا العربية ليس في القادم من الزمن بل هي استعادة لـ«مجتمع المدينة» المفقود. وكان البعض آنذاك ينصح الناس بأنهم لن يفلحوا إلا إذا اتبعوا وقع الحافر خطى الأسلاف. وفي تلك الفترة، تغلغل التعلق بالماضي حداً جعل الغالبية لا تقدم على تصرف دون سؤال رجل دين كان يسمى «المفتي» وكان صار بديلا في أجهزة الإعلام لعلماء النفس، والعلوم الطبيعية، والزراعة، والاقتصاد. كانت له إجابة عن أيّ سؤال، ولا يقول أبدا: لله أعلم! فهو كان يستخدم منهجاً اسمه «القياس» أي يقيس كل جديد بسابقة حدثت في الماضي، ويكتسب الجديد صحته وشرعيته بالتطابق مع أو القرب من ذلك القديم.

شغلتكم بهذا المدخل ولكني سعيد بأن كل ذلك صار ذكرى وعبرة لنا لكي لا يعود. أما أخبار اليوم فقد جاء في المانشيت المتكرر من الرياض، عاصمة «المملكة العربية المتحدة» (السعودية سابقا)، ما يلي: «سحب صوت الثقة في البرلمان من حكومة (سعيد القحطاني) رئيس حزب الوسط الديموقراطي بـ198 صوتاً نالتها جبهة اليسار الاشتراكي مقابل 188 صوتا للحكومة. وتشكلت الجبهة نتيجة دمج عدد من الأحزاب والحركات الاشتراكية واليسارية. وقد تتكرر كثيرا في السنوات الأخيرة الاندماج الكامل للقوى اليسارية في كيان أو تنظيم واحد، خلافا للتشرذم والانقسامات التي حكمت علاقاتها قبل سنوات، واستحالة قيام تحالفات مستدامة، ناهيك عن الدمج.

جاء من أخبار السودان انعقاد القمة العالمية للتنمية، وقد اختارت الأمم المتحدة الخرطوم تضامناً مع السودانيين في احتفالاتهم بمرور عقد على عدد من المنجزات، ومن بينها «عشر سنوات على القضاء على الفقر» و«عقد القضاء على الختان الفرعوني» و«عقد نهاية الملاريا». وسوف تفتتح القمة الدكتورة هيام أشرف صلاح رئيسة الجمهورية ونائبها المهندس جورج جرجس كيقال. والجدير بالذكر أن دستور كونفدرالية الشمال والجنوب يعطي الجنوب منصب النائب الأول. وستصادف المناسبة افتتاح دار الأوبرا الثالثة في العاصمة بأوبريت «قصة حب – تاجوج والمحلق» مع «اوركسترا عبد المعين».

ومن الأخبار الاقتصادية، أظهر تقرير المجلس الاقتصادي العربي أن موازنات جميع الدول العربية غير النفطية حققت فوائض كبيرة، وأن مؤشر التنمية تراوح بين 8 الى 10 في المئة في العام الماضي 2053. كما سجلت إنتاجية العاملين في مصر والكويت والمغرب مستويات جعلتهم في تنافس مع العاملين في ألمانيا واليابان وسنغافورة. ويقال – حسب منظمة العمل الدولية – أنه قبل أربعين عاما، كان المستخدَم العربي يعمل 27 دقيقة في يوم العمل، وهي ارتفعت الآن إلى 6 ساعات و48 دقيقة. ومن الأخبار القصيرة، أن صادرات السودان من القمح غطت حاجات كل دول الخليج العربي بالإضافة لشمال أفريقيا. وجاء في التقرير أن اليمن جاءت في المرتبة الثالثة في الدول المصدرة للزهور لهولندة. ومن الجدير بالذكر أن هذه المساحات التي تزرع فيها الزهور في اليمن، كانت مخصصة لنبات يعرف بـ«القات».

أما في الثقافة والفنون، فقد تزامنت في آذار/مارس الحالي معارض الكتاب العربي الموحدة في كل العواصم مع مهرجانات الموسيقى العربية، وسيقام مهرجان السينما العالمي في مدينة رأس الخيمة. وقد ظهر في المعارض الموحدة عدد من العناوين الجديدة، منها: الأعمال الكاملة لابن الراوندي، وابن عربي، والحلاج، وأبي نواس، وألف ليلة وليلة. وطبعات منقحة لإعادة التراث، منها: كتاب طه حسين «في الأدب الجاهلي»، وعلي عبد الرازق «الإسلام وأصول الحكم»، ولويس عوض «فقه اللغة»، ومعروف الرصافي «الشخصية المحمدية»، وإسماعيل أدهم «لماذا أنا ملحد؟» وغيرها. وكانت الندوات المصاحبة حول ظواهر تاريخية كانت سائدة قبل أربعين عاماً بقصد تعريف الشباب بها مثل: الرقابة على المصنفات الفنية، والحسبة، وتكفير الكتّاب والفنانين.

وعلى صعيد المهرجانات السينمائية، نافست الممثلة العربية (السعودية سابقا) حفصة العمري والسودانية فاطمة سيد احمد، على جائزة أفضل ممثلة ثانية. وحاز الفيلم الصومالي «الحب والورود والسلام» جائزة تقديرية في المهرجان.

ولأن متاحف الاثنوغرافيا والفولكلور في العالم العربي انتشرت في السنوات الأخيرة، فقد صار من المعتاد أن نطالع خبراً عن زيارة أطفال يمنيين لمتحف الأسلحة، ومنها البيضاء مثلما كان يسمى بـ«الجنبية». ومتحف من بقايا عشوائيات (مدن الصفيح) الدار البيضاء ومدينة ناصر بالقاهرة، وحي مايو في الخرطوم. ومتحف لمرضى ما عُرف بفيروس الكبد الوبائي والبلهارسيا. ومتحف ملابس تاريخية مثل النقاب والحجاب. ومتحف منبهات السيارات («الكلاكس» في مصر). ومتحف جوازات سفر عربية بها تأشيرات دخول للبلدان العربية.

ومن الأخبار القصيرة المتفرقة:

- حصلت الروائية العُمانية سندس المرّي على جائزة نوبل في الأدب، وتقاسم الاقتصادي الليبي مختار المصراتي مع الألماني اندرياس شتاينباخ جائزة الاقتصاد لهذا العام.
- دشنت جمعية الزيتونة الإسلامية وجماعة أنصار السنة المحمدية حملة جمع تبرعات لبناء كنيس يهودي جديد شرق مدينة جربة التونسية.
- احتفل مجلس السكان بالقاهرة بمرور 15 عاما على إقرار قانون أسرة الطفلين.
- انتحار وزير النفط في دولة عربية بسبب كشف الجهاز المركزي للرقابة الإدارية عن مخالفات في عقود التنقيب والبيع.
- تعرض عدد من دور السينما العربية في الجزيرة العربية والخليج ومصر والسودان واليمن والمغرب، فيلم «النبي محمد وغزواته الظافرة».
- احتفلت هيئة علماء المسلمين الموريتانية باليوم العالمي (2 كانون الاول/ديسمبر) لإلغاء وتحريم الرق.
- تضمنت لائحة أفضل الجامعات في العالم 15 جامعة عربية.

أخيرا، في أخبار الوفيات، نقرأ: «مات القهر بداء القلب». ولم يشيعه أحد في المقابر.

حيدر إبراهيم علي

كاتب وباحث من السودان

عام فيه يغاث الناس وفيه يفرحون

مسافرٌ، زادي الخيال، جئتُ إلى بيروت لقضاء ليلة رأس سنة 2054. بيروت الآن هي عاصمة السلام لأن اللبنانيين عرفوا قيمة الدم مبكراً. فما بدأ في ليبيا في 2011 بدأ في لبنان سنة 1975، وقبلها مرات وإن على نطاق اضيق.

أزور بيروت للمرة الخامسة في حياتي. كانت المرة الأولى في آذار/مارس 2014. حينها قلت لمدير عملي سأذهب للبنان، فقال لي «ستقتلُ في انفجار».

كما ترون، فقد شخت. لقد تغيرتُ أنا كما تغيرت المنطقة بين المحيط والخليج. هذا تقرير عن وضع شخصي وعام. سأحدثكم عن نفسي قبل أن أحدثكم عن حال المنطقة اليوم.

أقف بصعوبة بسبب آلام الظهر التي سببتها لي ساعات المطالعة والكتابة ومشاهدة الأفلام. صوتي بح. جئتُ بالطائرة. صحيح يوجد قطار ينطلق من الدار البيضاء في اتجاه مدريد، يعبر نفق جبل طارق ليصل أفريقيا بأوروبا. لا يوجد قطار بين الدار البيضاء وبيروت. الجدران لم تسقط كلها بعد. فمنذ أيام قليلة فقط، بدأ هدم جدار الكراهية الذي فصل المغرب والجزائر لقرن كامل. وقد كان الجفاف شديداً والحرارة مسعفة، سهّلتْ تجفيف مستنقعات الحقد بين الجارين.

كما ترون، فقد شختُ. شختُ ولم تنفعني الأدوية، لجأت للأعشاب وشفيت. وقد اكتشفت فياغرا مغربية أسوّقها في دكان على رصيف الانترنيت. جئت هنا لأبيع لكم خبرتي.

لماذا؟

في الأربعين سنة الأخيرة، انقرض الكتاب في أمة إقرأ. كل شيء ينمو إلا الكتب والثقافة. هيمنت أخبار الفضائح والجرائم على الصحف. تربعت حفيدة الراقصة صافيناز على عرش الفن في مصر. صارت المسلسلات الصومالية منتشرة بكثافة. توحدت إمارتا قمعستان وجهلستان. في مسابقة ثقافية، سُئل دكتور عن محمد عبده وجمال الدين الأفغاني. أجاب: الأول صاحب أغنية «الأماكن كلها مشتاقة ليك»، والثاني من طالبان. في وضع ثقافي كهذا، يجب أن يكون المرء أعمى ليستمر. لذا طلقت السينما بعد أن رهنت بيتي لتصوير فيلم ليس فيه تهريج. أفلستُ وقضيت سنة في السجن فتُبتُ من الثقافة.

البديل؟

الشيء الوحيد الذي يتزايد برقمين في العالم العربي هو عدد متصفحي مواقع الجنس. رقمان، رقمان. هذه هي الحقيقة الوحيدة التي أنقذتني من عفتي الثورية. لذلك غيرت الحرفة بعد أن عرفت شكل المستقبل. صرت عشّاباً. ما أمراضكم؟ لدي هنا حقيبة لمساعدتكم. لقد اخترعت فياغرا من الأعشاب. بفضلها اشتريت مزرعة. من منكم اشترى مزرعة بفضل الثقافة؟

الآن لدي رصيد في البنك. الحمد لله، تباع الفياغرا أكثر من الجرائد والكتب. أفكر في خطبة حفيدة الثنائي الجميل كاظم الساهر وهيفاء وهبي.

تضحكون؟

أنا أحدثكم من اللاشعور وليس من العقل.

لا تزيد نسبة العقل لدى زبائني عن عشرة في المئة. والباقي ظلمات اللاوعي.

قبل أن آتي لأحدثكم، جلست في بهو الفندق أحرر على هاتفي وصفة أعشاب لزبون مهم. المشكل أن هاتفي مصاب بالزهايمر، أكتب فيه 2054 فأجد فيه 1954. على صفحة هاتفي خبران عاجلان: تعرض جمال عبد الفتاح السيسي لمحاولة اغتيال في السويس. تزايد عدد القتلى في الشرق الأوسط. كل عام يقتل أكثر ممن قتلوا في العام السابق.

هذا خبر ممل بالنظر لما يجري في المنطقة.

بين 2014 و2044 عاشت المنطقة حرب الثلاثين سنة على طريقتها. تم تقسيم المقسم وتجزيء المُجزأ. تحققت نبوءة معمر القذافي.

استمرت المنطقة بلا قادة لهم كاريزما، استمر القادة الذين تشوهت وجوههم من كثرة الغمز في ممارسة التبرّج السياسي. يقاتل كل واحد بذراعه لحماية نفسه وطائفته. تجري محاولات القضاء على طائفة بمدفع. قال نابليون إن هذا مستحيل. لكنه جاري تجريب المُجرب. كل طائفة وحزب يضرب ويبكي، تريد كل طائفة أن يكون البلد مرآة لها وحدها.

هدف المتقاتلين؟

سحق الخصوم، الإخضاع والسيطرة... كلما سال الدم ظن المتقاتلون أنهم على حق. من يعترف بأخطائه يغامر بفقد هويته. الهوية أهم من البشر. سحق العنف الفرد والمجتمع. مات آلاف الرجال. ثلاثة أرباع المجتمع نساء. بدأ تجنيد البنات للجهاد. وللضرورة، جاء شبان من أميركا لممارسة جهاد النكاح. يتزوج كل شاب عشر مقاتلات في اليوم. وهنا بدأتُ أصدّر الفياغرا التقليدية من ميناء طنجة. أصدرها مجاناً إلى غزة لتشجيع النسل. هذا اضعف الإيمان.

في الشرق الأوسط، دائماً تلعب أيدي غير مسؤولة، أيدي خارجية. كلما زاد النزاع الإيراني السعودي وجدت الدول الصغيرة في الشرق الأوسط مساحة تنفس. بويع جمال عبد الفتاح السيسي رئيساً لمصر. وشعار المبايعين: كرهنا الحرية بسبب الثورة.

في 2044 تحقق الهدف: تحقق الحنين لما قبل الدولة، فتوقف قتال اللاعبين المنهكين. بدأ عقد جني ثمار الحقد الضاري، عقد بناء الجدران من الحجر وعظام الأعداء الذين يشبهوننا حتى الضجر. جاء المال كثيراً لبناء الجدران. المال نفطي والإسمنت أميركي، بنت كل قبيلة وطائفة جدراناً حولها.

حين تلاشى غبار وصوت المعارك تكشّفت الحقائق. البشر يكرهون الجدران. قل القمح خلف الجدران فتحركت غريزة البقاء، تراجع الحماس العقائدي. صحيح الهوية مهمة، لكن القدرة على البقاء أهم.

جربت الشعوب الإخوان والجهاديين، اكتشف الناس أن المتشددين قد اعتقلوهم خلف الجدران. عصفت بذاءات الجدل الديني بالمقدس فانفتح طريق العلمانية. انشق فصيل إخواني شبابي، شكل حركة إصلاح ديني وأقام تمثالا لأدونيس في ميدان رابعة العدوية بالقاهرة.

خذل العرب فلسطين، لكن الفلسطينيين استرجعوا الأرض بفضل الديموغرافيا فتوقفوا عن المطالبة بدولة مستقلة وصاروا يطالبون بحق التصويت. وقد صارت زهوة ياسر عرفات رئيسة لجمهورية «إسراطين».

زاد الآسيويون المولودون في الخليج عن عدد السكان. تضعضعت القبيلة. تحررت أميركا من الحاجة لنفط الشرق الأوسط فعجز الشيوخ عن استئجار من يقاتلون به. صارت النساء المتعلمات العاملات أكثر من الرجال. اخترع مهندس شاب غسالات للضمير تعمل بماء المطر.

تعلمت الشعوب نبذ الصفاء لأن الهجين شديد الخصوبة، زادت تمارين التعايش مع الأشباه والمخالفين. هذا عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون...

إلى اللقاء في 2073. حين تكمل جريدة السفير قرناً.

محمد بنعزيز

كاتب وسينمائي من المغرب

مبعوثة إلى الصين

بما أني كنت مقربة جداً من أبي، فقد استدعيتُ الى وزارة الخارجية العراقية على عجل، وبسرية تامة. كان الوصول مضنياً، لأنني اضطررت لتغيير مسارات عدة. فالرقابة الصينية كانت صارمة، وأجهزتنا كلها اخترقت، وإخباري عن ضرورة مجيئي الى بلدي، الذي لم يسبق لي العيش فيه، جاء بالاتصال المباشر. كان المطلوب شيئاً ما غير عادي. والدي توفي قبل أكثر من عشرين سنة، وها أنا الآن في منتصف الستين، ومن القلائل الذين يتقنون اللغة الصينية ويملكون شيئاً ما رأت الحكومة العراقية ان له مفعول السحر. تذكرت وقتها ما رواه لي والدي عن ذهابه الى العراق اواخر القرن الماضي، عندما كان الاميركيون يتهيأون لاحتلاله. حينها قرر أبي مع بعض رفاقه في المعارضة التفاوض مع نظام صدام حسين، وتقرر اختياره هو للقيام بتلك المهمة، فاضطر لدخول العراق خلسة في صندوق السيارة عبر الحدود الاردنية.

كانت الاخبار قد تسربت عن نية الجنرال «ياو سين باو» الحاكم الصيني المنتدب، تنفيذ خطة إزالة العراق من الخارطة. لقد دافع هو عن نظريته حول إلغاء هذا الجزء من العالم، متحججاً بأنه «قديم جداً وغير نافع». مقدم البرنامج الذي حاوره ـ ولا نعرف إذا كان حقيقيا أو مفبركا ـ سأله: «أليس من الوجيه ان تتم المحافظة على مكان له هذه الأقدمية الحضارية؟» فأجاب: «ينبغي أن لا يفهم موقفي على انه إلغاء كلي من الوجود، نحن حريصون على الحفاظ على الذاكرة البشرية، وقد هُيِّئت كافة المستلزمات لتصوير كل ما يتعلق بهذا الموقع، لكننا نبدأ اليوم عصر تجديد العالم. هنالك أمم وأماكن تتحول الى تراث محفوظ للدارسين. إنها أمم اثرية كما كان عليه الأمر في الماضي، اقصد أن نوع المتاحف تغيّر». عاد المذيع وسأله: «سيدي الجنرال، قد تكون الفكرة جديدة ولا يفهمها الجمهور، فالمفترض أن هذه الشعوب تظل حية كي تشارك في صنع الحياة والمستقبل». هنا ضحك الجنرال قبل ان يجيب قائلا: «نعم هذا سؤال جيد ومنطقي، فالحكم على شعب بالزوال ليس من حق احد، لكن العلوم اثبتت أن هناك أقساماً من البشرلم تعد تملك ما تعطيه للحياة. لقد ادت وظيفتها، وصار علينا ان نكرمها بأن نحفظها في الذاكرة بكل إجلال».

لم يكن القرار مقبولا، ومع كل التضليلات والتشويش الصيني على امتداد المعمورة. تم تناقل الخبر، وسمع عن تظاهرات على وسائل التواصل، بعضها تحول الى لقاءات في الشوارع عبر مدن وعواصم مختلفة. تذكرت مرة أخرى ما كتبه أبي في مذكراته عن خروج 13 مليون متظاهر، قبل اكثر من نصف قرن، في العالم أجمع، ضد الحرب الاميركية على العراق. ولكن السطوة التكنولوجية الصينية على المعمورة الآن، تكاد تصل حد «صيننة» البشر، حتى على مستوى الخبر والموقف منه. لقد أحكمت الصين سيطرتها على كل شيء، والخوف الذي ينبئ به قرار ازالة العراق، هو عما اذا كانت الصين قررت ان يسود العالم جنس واحد هو جنسها الاصفر.

حين دخلتُ احد مكاتب وزارة الخارجية العراقية، شعرت بثقل الاحتياطات الامنية المتخذه في قسم الامن الخارجي في الوزارة. كان الموظف يحاول إخفاء قلقه، قال لي فوراً: «لا بد انك تعرفين ان المرحوم والدك كان كتب مرة عن علاقة بين بغداد العباسيين والصين، انقذ فيها الخليفة العباسي عرش الامبراطور الصيني». وأردف مكملا: «نحن بحاجة لهذا المقال، الأمر غاية في الأهمية ونريدك انت بالذات مبعوثة خاصة لإقناع الحكومة الصينية بالعدول عن فكرة ازالة العراق من الخارطة». عدت من توي الى منظّمي فوجدت المقال، الذي كتبه قبل وفاته بأكثر من عشرين عاما في جريدة مغمورة، كان يصدرها شخص فلسطيني: «بغداد تنقذ عرش الصين، لعبد الأمير الركابي»، قال فيه إن احد أباطرة الصين فقد عرشه وطلب النجدة من الخليفة العباسي، الذي بعث له بعدة آلاف من الفرسان وصلوا بفترة زمنية قياسية، لانهم كانوا يجدون في كل محطة وصلوها خيولا مستريحة يمتطونها إلى أن بلغوا مقصدهم وتمكنوا من إعادة امبراطور الصين لعرشه»، وفي المقال بأن «علاقات تجارية نشطة كانت تربط العراق بالصين، وان سفن الصين كانت تصل بحر النجف الذي جف الآن».. ويضيف بأنه «رأى بحر النجف في طفولته». فرح موظف الخارجية وقال: «من السهل على الصينيين أن يثبتوا هذه الوقائع عن طريق «الكاشف الضوئي للوقائع الماضية»، كما انك ستقومين حتماً بإقناعهم بضرورة أن يعدلوا عن نيتهم، علماً أن معلومات وصلتنا تقول إن مهمة إزالتنا من الخارطة لن تتحقق قبل عشر سنوات من الآن في اقل تقدير».

قلتُ للموظف: «اقترح ابنتي شهرزاد للمهمة، لقوة منطقها وشخصيتها الطاغية، ثم انها تتقن أفضل مني اللغة الصينية... وقلوب الصينيين ستخشع لجمالها». تمنيت ساعتها لو أنني تناولت دواء «دكتور جيمس» الذي اكتشف قبل 15 سنة بروتيناً يعيد الناس 50 عاماً إلى الوراء. لكن الصين اختطفت الرجل، ووضعت اكتشافه تحت «منظم الكشف»، بحيث لا يمكن أبداً تكراره او استعادته. فسياستها كانت منع سائر الأمم من التكاثر. والمقاومة في كل مكان تحاول كسر رغبة الهيمنة الصينية الطاغية، ونية جعل الأرض من جنس واحد. كان البشر يتصورون انهم سوف يبتعدون بمرور الزمن عن الطغيان، وهاهم يتعرضون لخطرالإفناء.. ويقاومون.

عبد الأمير الركابي

كاتب من العراق

السفير العربي

27 آذار /مارس 2054

سأنأى عن الأمس، حين أعيد له إرثه: الذاكرةْ
سأدنو من الغد حين أطارد قبَّرةَ ماكرةْ
سأعلم أني تأخَّرْت عن موعدي
(محمود درويش ـ من «كزهر اللوز أو أبعد»)

أوجاع المخيلة.. شجرة العائلة

صعد السلم المعدني المائل على قوائم أربع، ووقف بقامته الطويلة الرياضية، المغطاة بمريوله الغامق الملوثة أكمامه وأطرافه بلطخات من الأصبغة، أمام اللوحة المثبتة على الجدار، يعمل بمثابرة على إتمام ما تبقى شاغراً من أغصان الشجرة التي تتدلى من نهاياتها الدقيقة أسماء وتواريخ رجالات السلالة الهامشية.

يلقي من حين لآخر نظرة إلى الخلف إلى حيث يجلس جده العجوز على كرسي خشبي عال، مرتدياً ثياب الخروج النظيفة المكوية، تظهر أناقته بقميص الكتان الأبيض العريض، البنطال الطحيني، الصندل المفرغ بسيور جلدية متقاطعة من مقدمته وجانبيه. يتأمل ساندأ ذقنه الحليقة على راحة كفه، حفيده الشاب العائد من المحترف الجماعي الذي أنشأه مع أصدقاء من أصول متعددة في أطراف مدينة حيفا، وكيف ساقه إلى ضرورة رسم هذه اللوحة التي كانت مفتاحاً لأقفال الذاكرة، وسبباً في تسرب خليط مائها وأسماكها وضفادعها... هي سانحة كذلك لتفحُص الشروط الاستثنائية التي أمدت بعمره أربعين عاما، بات من الممكن تسميتها إضافية، بعد أن كان يتراءى له الموت، في زمن خلا، مرة على الأقل كل أربعين ساعة.

أيامها خاض مباريات في التخييل، وهي بمنزلة مبارزات للتفلّت من الساعات التي تعبر بقسوة، والتي تفترض دوماً أن هناك المزيد من الأشياء القبيحة التي لم تفصح بعد عن نفسها، كذاك القتل التي يتهرب الناس من إظهار خوفهم منه، وأحوال مصائرهم بعده. تجارب لتخيّل التاريخ قبل الوصول إليه وعيشه، ونوع مبتكر من قراءة طالع المستقبل.

هو نمط من التجارب المنهكة، حين ندفعها نحو نهاياتها الاحتمالية بهندسة تاريخية صارمة، تُقصي العاطفة والأمنيات المنبعثة من طفولة تتوسل الكلام الأنيق. ماذا لو لم نعثر على وجود لنا في المستقبل، وهذا من الاحتمالات التي لا يمكن تجاهلها. لا نقصد الوجود الهزلي المكتفي بالتلصص على الوقائع والانفعال بها، بل الوجود الحي الفاعل في صنع التاريخ والسيطرة على جنوح حركته وتعثرها. ترى ألم يتوفر للهنود الحمر وجماعات القبائل الإفريقية من يقرأ لهم تاريخهم، ويساعدهم على النجاة من كمائنه؟

في سرد الوقائع يتبين أن دخول التاريخ أصعب بكثير من الخروج منه. مصير يشبه أحوال السجناء في بلدان شرق المتوسط، حين كانوا يُساقون مقيدين بسلاسل فولاذية إلى السجون، ويتركون ليتعفنوا، حاكين جلودهم بأظافر من زجاج مثلوم ليصلوا إلى عظامهم البيضاء.

يعلو اللوحة – الشجرة، اسم الجد الأعلى، الذي ثبّت أولاده وأحفاده سيرته والتفوا حولها، الشاب الذي فرّ من التجنيد الإجباري العثماني. سيق مع المئات من أبناء المدينة للجيش الرابع الذي قاده «جمال باشا» إلى صحراء سيناء لصد هجوم متوقع من الجيش البريطاني عند تخوم قناة السويس. اختفى لسنوات بعد هزيمتهم هناك، في شعاب الجبال بين الكرمل ومرج ابن عامر، ليظهر بعدها أمام باب منزل العائلة في حي «الحميدية» متأبطاً «بقجة» ملابسه، مندفعاً لبشارتهم بأنه صار عندنا ملك عربي، كما هي كل دول العالم، وأننا صرنا من اليوم أحرارا. يمضي بعدها بأيام مع الحالمين من أبناء الحي، بثيابهم النظيفة وذقونهم الحليقة المعطرة إلى أمام «فندق بارون» ليروا الملك الشاب فيصل الأول، ويتلقفوا أخبار خطبته المبشرة بمملكة عربية، يتعاقد أبناؤها فيما بينهم على المواطنة والمساواة، ويعملون معاً لإعادة بعث الأمجاد العربية من رقادها.

يتبين أن الدخول في التاريخ ليس بسهولة الدخول إلى صالة سينما، حيث يكفي أن تحمُل النقود القليلة إلى كوة القطع لتبادلها ببطاقة، تطبق عليها بين إصبعيك، لتقدمها بعد برهة إلى الموظف، الذي يأذن لك بالدخول الرحب إلى الصالة المضيئة الواسعة، حيث كرسيك الفارغ ينتظر جلوسك المتقن.

الجد الثاني، الابن البكر للجد الأعلى، الذي شب في أول سنوات الانتداب الفرنسي، ساقته المصادفة للعمل في شركة الخطوط الحديدية كملقم موقدة البخار، ما جعله شاهداً على تقّطع جغرافيا بلاد الشام والعراق، وتقلص المسافة في الرحلات التي كانت تبدأ من محطة حلب وتنتهي بحيفا.. والرحلات الأخرى التي تبدأ من حلب وتنتهي ببغداد..

– بلادنا تضيق كقمصاننا، قال لزوجته التي اعتادت غيابه لأسابيع في رحلات عمله، وربما ليطمئنها على عدم تأخره في رحلاته بعد الآن.

ما كان الذي يجب أن يعملوه لتبقى المسافات كما هي، أي بلادهم الواسعة، لا أن يرتضوا بتقطيعها كقالب من الحلوى، وينتظرون الحصة التي أبقيت لهم، كضيوف على مائدة تتكرم عليهم من طبيخ لحمهم ودمهم؟

الجد الثالث اجتهد للحصول على شهادة متوسطة قبل نهاية الانتداب تؤهله للعمل في الوظائف التي توفرها المؤسسات الحكومية الجديدة. ينجح في العمل في إدارة الجمارك، ويتنقل إلى كل بوابات البلد الصغير المتكئ على وسادة من آمال مخصوصة: الاستعمار كما البرد سبب لكل علة!

لكن الاستعمار يرحل كنتيجة للحرب العالمية الثانية، ويبقى البرد وعلته، لتتوسع وتصبح عللاً تأخذ من بعضها وتتراكم. يبقى الكيان الصهيوني حارس الاستعمار ولم يرحل معه، والتجزئة التي صنعها بحذاقة، والأصوات التي تصعد من لدن الطغاة المتسربلين بأزياء الثوار لتذكّر بالحرية، وتتساءل بصوت خافت، أتستأهل هذه الشعوب الحرية أم القليل منها يكفي، داسّة أصابعها في أفواه العامة، لتتيقن من نمو أسنانهم اللبنية التي تؤهلهم لمضغ فطيرتها المرتجاة، لتصل بسرعة إلى النتيجة التي كانت بحيازتها قبل هذا الفحص المتعجل» من المبكر منحهم الحرية. إذاً ما الذي سيفعلونه في هذا الوقت المستقطع من تقويم التاريخ؟ أن يبتهجوا لإنجازات الحكومات المتعاقبة التي باتت تضيء القرى، وتدهن أطراف الأرصفة بالأبيض والأسود، وتسند خاصرة الرغيف، وتدعم أكواب الشاي بالسكر، وتعتمد شتم الاستعمار من حين لآخر كبديل غير نمطي عن الرياضة الصباحية.

راهن الجد الرابع على التعليم لتجاوز التفاوت الاجتماعي، الوسيلة المتبقية للتفلت من مصير مكتوب على جبين العائلة من حين ولادة أبنائها. عرف بغريزية الحدود الفاصلة بين أحلام الفرد وأوهامه، في شروط يصعب السيطرة عليها. غادر الحي في أول فرصة مؤاتية، لكن سرعان ما ظهرت علامات التمرد على أولاده. ذهب اثنان في مصيرين مجهولين، الأول لم يعد من بيروت بعد اجتياحها الصهيوني، والثاني سيق إلى سجن كارثي، يخرج بعده ليتجه نحو الموسيقى حيث يُختزل الكلام المؤدي للتهلكة، في بلاد تتعبد الصمت، وحين يأتيها الكلام تغرق في اللغو المكرر.

ويأتي الصوت حاداً وواضحاً. يرفع رأسه إلى أعلى السلم: يا جدّي يجب إعادة رسم هذه الشجرة، أرى أننا نسينا ذكر الجدات والأمهات والحفيدات.. وتابع وهو ينزل السلم، سأرسمها من البداية بعد عودتي من حيفا. سأغادر غداً.

عزيز تبسي
كاتب من سوريا

لأول مرة في تاريخ الأزهر

امرأة تتولى منصب المشيخة

في سابقة هي الأولى من نوعها في تاريخ الأزهر الشريف، انتخبت هيئة كبار العلماء د. خديجة عبد الرحمن لتولي مشيخة الأزهر خلفاً للشيخ الحالي الذي تنتهي فترة توليه المنصب نهاية الشهر المقبل، لتكون بذلك أول امرأة في تاريخ الأزهر تتولى منصب شيخ الأزهر منذ إنشائه في العصر العثماني، حيث كان أول من تولاه – كما يذهب معظم المؤرخين – الشيخ محمد بن عبد الله الخرشي المتوفى عام 1690.

وقد أُعلن رسمياً عن فوز د. خديجة (50 عاماً) بالمنصب بعد حصولها على 65 في المئة من أصوات هيئة كبار العلماء التي تتمثل النساء فيها بأكثر من 30 في المئة من أعضائها البالغ عددهم مئة عضو من جنسيات مختلفة، بينما حصل أقرب منافسيها، الشيخ طلعت فرغلي (65 عاماً) على 15 في المئة من الأصوات، وتوزعت باقي الأصوات على المرشحيْن الآخرين.

وبحصولها على أعلى الأصوات، تتولى د. خديجة المنصب لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد لمرة واحدة، أو تنتخب الهيئة شيخاً جديداً من بين من يُرشحون أنفسهم للمنصب، وذلك بِناء على أدائها وإنجازاتها خلال السنوات الأربع.

ويُعد فوز خديجة بالمنصب ضربة جديدة هي الأقوى للتيار المحافظ الذي يمثله الشيخ فرغلي، وهو التيار الذي ظلّ لقرون مسيطراً على مقاليد الأمور داخل المؤسسة العريقة، قبل أن ينجح التيار الإصلاحي في إزاحته بشكل تدريجي خلال العقود القليلة الماضية.

وكان عهد الشيخ الراحل نجيب محيي الدين الذي تولى منصب شيخ الأزهر عام 2020 مرحلة فارقة في تاريخ الصراع بين التيارين الإصلاحي والمحافظ، إذ أجريت في عهده تغييرات جوهرية في مناهج التعليم بالأزهر الشريف، وهي الخطوة التي اعتـُبرت وقتها بداية النهاية لتيار الجمود داخل المؤسسة الأزهرية. هذا بالإضافة إلى الإصلاحات التشريعية التي ضمنت استقلال الأزهر ماليّاً وإدارياً ومن ثمّ سياسياً بعد أن ظلّ لسنوات طِوال تابعاً للسلطة الحاكمة. وقد استكمل أخلاف الشيخ محيي الدين مسيرة الإصلاح والتجديد داخل الأزهر، وأبرزهم الشيخ أنس التونسي الذي تولى المنصب بعده مباشرة.

وكثيراً ما شُبّه الشيخ محيي الدين بالإمام محمد عبده (1849 ـــ 1905) نظراً لأفكاره التجديدية وآرائه المستنيرة والجهود الكبيرة التي قام بها في سبيل إصلاح الأزهر في زمانه.

ولم يكن مصير جهود الشيخ الراحل ومن جاء بعده ليختلف عن مصير تلك التي بذلهاالإمام محمد عبده ومَن نَهَجَ نهجَه والتي لم يُكتب لها النجاح، لولا الدعم الحكومي والبرلماني، وكذلك دعم وسائل الإعلام ومنظمات المجتمع المدني لخطواته الإصلاحية.

وخلال المؤتمر الصحافي الذي عقد بمقر المشيخة بالقاهرة، أكدت د. خديجة عبد الرحمن بعد إعلان فوزها أنها سوف تسير على النهج الإصلاحي الذي بدأه أستاذها الراحل الشيخ نجيب محيي الدين. وقالت إنها مهتمة بشكل كبير بالتوسع في إنشاء المعاهد الأزهرية والمراكز الثقافية، خاصة في القرى والمحافظات النائية لنشر الوعي وتنشئة أجيال جديدة قادرة على مواجهة ثقافة الجمود والتشدد التي ما زالت موجودة في بعض هذه المناطق. وكذلك إنشاء المزيد من الفروع لجامعة الأزهر خارج مصر استكمالا للخطة التي وضعها سلفها والتي تستهدف افتتاح خمسة فروع للجامعة العريقة في خمسة بلدان لا يوجد فيها مثل هذه الفروع، وذلك في مدى عشرة أعوام، وقد افتُتِح منها حتى الآن فرعان.

وقد حرص عدد كبير من وسائل الإعلام المحلية والعالمية على تغطية المؤتمر الصحافي الذي ظهرت فيه د. خديجة أنيقة كعادتها، وتحدثت بلغة عربية سليمة. يُذكر أن د. خديجة عبد الرحمن قد تخرجت في قسم الفقه بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة عام 2026 بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف وبترتيب الأولى على دفعتها، وعُينت معيدة بالكلية. وقد حصلت على درجة الماجستير عام 2029، وكانت رسالتها تحت إشراف الشيخ نجيب محيي الدين، الذي كان يصفها دوما بـ«التلميذة النجيبة» وكان يتوقع لها «مستقبلاً مشرقاً». بينما حصلت على درجة الدكتوراه من جامعة السوربون بفرنسا عام 2044.

وهي تشغل حاليّا وظيفة أستاذ مساعد للفقه الإسلامي بجامعة الأزهر بالقاهرة كما أن لها عدداً من المؤلفات التي قدمت خلالها اجتهادات فقهية قيّمة. وقد تُرجمت بعض مؤلفاتها إلى للغات أجنبية، بالإضافة إلى عملين أدبيين أحدهما مجموعة قصصية صدرت قبل تخرجها، والآخر رواية صدرت العام قبل الماضي.وهي متزوجة ولديها ولد وبنت.

من جانبه غادر الشيخ طلعت فرغلي المؤتمر الصحافي فور إعلان النتيجة رافضاً الإدلاء بأية تصريحات. بينما نظّم عدد من مؤيديه وقفة احتجاجية أمام مقر المشيخة رددوا خلالها هتافات رافضة لأن تتولى «امرأة» هذا المنصب الرفيع، ومنددة بـ«تدخل النساء في شؤون الرجال»، وقد ارتسمت على وجوههم إمارات الغضب، وكان عددهم لا يتجاوز بضع مئات، معظمهم من كبار السن.

منى علام
كاتبة وصحافية من مصر

النصوص الكاملة على الموقع arabi.assafir.com

الجنس البشري الجديد

(...) نحنُ في شتاء العام 2054. نحنُ الناجون من العقود الاجتماعية المتحورة حول الفرد، من مكائدِ الأديان في تشظِيتها للذات البشريّة الجمعيّة، وحراستها الأنا الفردية بعناية، ومن ألاعيب الاقتصاد السياسي. الناجون من الحرب العالمية الثالثة، وعبودية النظام العالمي الجديد الذي قام على إثرها. نحن الآن جزء من المشاعيّة البشرية الجديدة (...).

أيمن الشوفي ـ سوريا

الآن يفرحني سؤال من أين أنت؟

أفرح الآن عندما يسألني أي شخص: من أين أنت؟، وأتمنى أن يسألني كلُ من يصادفني في الطريق هذا السؤال، لأجيبه أنا من هنا، أنا من عراق المنشية.

كم كان السؤال محيراً في زمن مضى، يوم كنتُ لاجئاً في الأردن، وكان يأتي السؤال محمّلاً باحتمالات كثيرة. كنتُ أجيب أنا من مخيم البقعة، لتنهمر الأسئلة بعد السؤال: من وين من فلسطين؟ أجيب: من عراق المنشية، ويتابع: وين عراق المنشية؟ (...)

محمد الفضيلات ـ الأردن

رئيسة للجمهورية في مصر

اليوم أعلنت نتائج الانتخابات فنجحت رئيسة الجمهورية المصرية، وهي بذا ستتولى دورة ثانية بعدما انتخبت للمرة الأولى في العام 2050. ويعود نجاحها الى تمكنها من تحسين الظروف الاقتصادية للمواطنين بفضل إقرار حد أدنى لائق للأجور (...).

هدير المهدوي ـ مصر

آمنّا بأحلامنا فانتصرنَا!

(...) لم أكن أعتقد قبل أربعة أو خمسة عقود أنّني سأعيش إلى هذا اليوم. فإن نجوتَ من الموت بالرصاص أو تحت التعذيب، فمن الصعب أن تنجو من الموت بنوبة قلبيّة، كمداً أو حنقاً. كما أنّ بعض الأحداث المزلزلة التي عاشها جيلي والأجيال التي سبقته، كانت تجعل عمرك يقفز أحياناً عقداً من الزمان مرّة واحدة. وقد شعرتُ بذلك فعلاً يوم احتلّ الجيش الأميركي بغداد في 9 نيسان/إبريل 2003 (...)

غسان بن خليفة ـ تونس

الرياض منطقة حكم ذاتي

(...) جاء عصر النفط إلى المنطقة فجأة في منتصف القرن الماضي، إلا أن نهايته لم تفاجئ أحداً سوى حكام المنطقة. فلقد تضافر عاملان لإنهاء دور النفط في الاقتصاد العالمي. الأول هو تزايد النفوذ السياسي لقوى حماية البيئة في الهند والصين وغيرهما من البلدان الرئيسة المستهلكة للنفط (...).

عبد الهادي خلف ـ البحرين

مصلحة الأرصاد السياسية

في احتفال ضخم حضره جمع كبير من السياسيين من مختلف الأطياف الحزبية، وحضرته المنظمات النسائية والمواطنون، تمّ تكريم وزيرة التعليم التي تركت منصبها الوزاري بعد فوز حزبها بالانتخابات للمرة الثالثة، مفضلة الاكتفاء بثماني سنوات في موقعها ذاك، ولمدة دورتين كاملتين (...)

إيمان رسلان ـ مصر

اليمن بلا شهداء

اليوم يحق للعرب أن يفخروا بصفحة جديدة، تمثل بداية لتاريخ يسوده السلام والوئام الاجتماعي، حيث أصدر الرئيس اليمني في مطلع الشهر الجاري (آذار/مارس 2054) قراراً جمهورياً بحل الهيئة العامة لرعاية أسر الشهداء ومناضلي الثورة اليمنية، وأيلولة أموالها للهيئة العامة للتأمينات والمعاشات (...).

عادل مجاهد الشرجبي ـ اليمن

انتخابات في موريتانيا

تسألني يا صديق من سيفوز بانتخابات هذه السنة، وليست لدى إجابة محددة! فهناك أكثر من مرشح ينافس بقوة ولديه حظوظ، والمشاريع الرئاسية مقنعة جداً ومتعوب عليها، وأنا تائه بينها بصراحة!(...).

أحمد ولد جدو ـ موريتانيا

عودة بغداد إلى «الرجع البعيد»

(...) أصبحت ميليا، وهي ابنة أختي التي ظلّت الأكثر دلالاً بين إخوتها عندي وأمي وأبي، رئيسة المهندسين في أمانة بغداد. كنا نتحدّث قبل فترة عن تاريخ العاصمة والمعالم التي اندثرت، وهي عازمة الآن على تقديم مشروع يعيد المقاهي التي تهدّمت في التسعينيات وما تلاها، فضلاً عن إعادة الحانات البغدادية القديمة إلى العمل (...).

عمر الجفّال ـ العراق

تحولات بقوة النواعم

قد يبدو الأمر من عالم الغرائب والعجائب لكنه مع ذلك وقع... تحقق في موريتانيا ما ظلت تحلم به معظم النساء حول العالم دهوراً، ومعهن الكثير من الرجال (...) القبول بأن نكون زوجة ثانية أو ثالثة أو أكثر، حتى من قبل مثقفات، أمر لم يعد مقبولاً، فرجالنا جميعاً ليسوا أنبياء، والعدل شبه مستحيل. التباهي بالزواج لمرات كثيرة لم يعد مسموحاً به في هذا العصر(...).

علية عباس ـ موريتانيا

عودة لمحبوبتي.. بعد زمن بعيد

(...) سمعت في نفسي همهمة تردّد «لقد آتت ثورتنا أكلها». فرغم تقادم العمر وانطفاء الحدث، إلا أن كل إنجاز ظل يذكر جيلي وكل الأجيال التي عايشت الثورة في شبابها، بالدماء التي سالت من أجل التغيير ومقاومة الفساد الذي كان حينها ينهش في جسد الوطن. ظللنا ننسب الثورة وخيراتها لأنفسنا ولا نقبل في ذلك شريكاً (...).

بسمة فؤاد ـ مصر

المغرب الكبير واحداً

في مشهد غير مسبوق، ينتظر أبناء الدولة المغاربية ما ستسفر عنه محاكمة القرن، كما تحلو لنا تسميتها، بعد أن أظهرت التسجيلات المعلن عنها كيف استخفّ ساسة اليمين المتطرف بمصالح البلاد والعباد خلال توليهم للسلطة طيلة العقد الماضي (...).

المختار ولد محمد ـ موريتانيا

السفير العربي

27 آذار /مارس 2054

سأسند رأسي إلى جذع خَرّوبة، هي أمِّي، ولو أنْكَرَتْني
سأغفو قليلاً، ويحملني طائران صغيران
أعلى وأعلى... إلى نجمة شرَّدتني
(محمود درويش ـ من «كزهر اللوز أو أبعد»)

العدالة الآن

سلمى في الخامسة عشر من عمرها. أكثر ما شدّ انتباهها هي التعابير التي ارتسمت على الوجوه، والصدمة التي غمرت الناس: «كانوا جميعهم مدهوشين. لم يفهموا شيئاً. يدورون حول أنفسهم، بأيدٍ مستسلمة وأكف مفتوحة باتجاه السماء. كالمشاهد السينمائية التي تُعرَض ببطء».

سلمى كانت أمام التلفاز، في منزلها في غزّة، تشاهد البث المباشر مع جدّتها ووالديها وأخوتها الثلاثة. «لم نكن نتوقع ما حدث. وصلتنا جميعاً رسائل على البريد الالكتروني تطلب منّا أن نجلس مع عائلاتنا أمام التلفزيون، في الثاني عشر من آذار/مارس، عند الساعة الثالثة والنصف ظهراً. أخبرونا فقط أن أمراً هائلاً سيحدث.. نحن لم نصدق تماماً، لكننا فعلنا مع ذلك. من باب الفضول».

تصف سلمى إحساسها وهي تبتسم بخجل: «كانت أشكالهم تشي بالصدمة والضياع. مشهد حزين بعض الشيء. لكني رغبت بأن أصرخ بهم. أن أذكرهم كم أننا شرحنا لهم ونبّهناهم.. وفي البداية ساد صمت تام. أمسكنا بأنفاسنا لدقائق بدت طويلة. ثم صفّق أفراد عائلتي فرحاً. جدتي بدأت بالبكاء. سمعنا زغاريد وضحكات وصرخات فرح تصعد من كل شوارع المدينة. في الواقع، انفجرنا من الفرح».

قبل أسبوعين، عند الساعة 3 و48 دقيقة، فتحت الأبواب الالكترونية لكل منازل مستوطنة (....) في الوقت نفسه. ثم توقفت كل تجهيزات المنازل عن الاستجابة لأوامر سكانها. انطفأت الأضواء، وتعطّلت شبكة الانترنت. انقطعت خطوط الهاتف. واجهات المحال التجارية أغلقت من تلقاء نفسها. حتى المياه امتنعت عن النزول من «الحنفيات».

مستوطنة معالي ادوميم توقفت تماماً. حدث هذا منذ اسبوعين. و«توقفت» تعني ببساطة أنها لم تعد تتحرك. أحد سكان المستوطنة قال في وقت لاحق: «ظننت بداية أن عطلاً ما أصاب نظام المنزل. خرجت مع زوجتي الى الجيران لنسألهم إن كان يمكننا استخدام الانترنت. لكن الجيران كانوا في الشارع أيضاً. كلّ البيوت انطفأت. كما لو أننا في «يوم الراحة، «sabbat، لكن مع فارق وحيد: لم نكن نستطيع بأية وسيلة إعادة تشغيلها.«

انتظر السكان دقيقة، عشر دقائق ثم عشرون.. بعضهم صعد في السيارات لاستكشاف ما يحدث في الأحياء الأخرى. لكن سياراتهم رفضت نقلهم إلى العناوين التي أمروها بالتوجه اليها. اكتفت فقط بنقل ركابها إلى «الخارج». أخرجت الركاب من المستوطنة وتوقفت هناك، فتحت أبوابها ورفضت العمل مجدداً.

بعد ساعة من الفوضى والارتباك، جاء الشرح. شاشات هيلوغرامية ظهرت فجأة في كل شارع من المستوطنة. صوت الكتروني قال بعبريّة ترافقها ترجمة عربية: «مرحبا، هذا ليس عطلاً. نحن الـ«420»، وقد اخترقنا البرنامج المركزي الخاص بمستوطنتكم. طوّرنا نظاماً تعتمد برمجته على القوانين الدولية فقط. إن كانت معالي ادوميم قد توقفت، فذلك لأنها لا ينبغي أن تكون موجودة أساساً. وجودكم هنا ليس عادلاً وهو مخالف لكل القوانين الدولية. ما تعيشونه الآن هو فقط التطبيق الفوري لقرار محكمة دولية. أبواب منازلكم لن تغلق بعد الآن. وسياراتكم ستنقلكم من دون توقف إلى «الخارج».

التوقيع: «الـ420، محامون/ قراصنة من كل العالم».

ثم لا شيء. صمت تام. اختفت الشاشات الهيلوغرامية. فقط صرخات عدة وأصوات بكاء تقطعها كلمات متفرقة: «لا نستطيع فعل شيء.. هذه منازلنا.. هذا غير إنساني.. لقد أوقفوا حياتنا.. كأننا وحيدون في هذا العالم..». حاول رجل طمأنة الناس: «لن يطول الأمر. لا تخافوا. كل شيء سيكون على ما يرام. هذه مجرد ألعاب أطفال، والحكومة ستعيد كل شيء إلى سابق عهده».

مرّ اسبوعان. لا تزال مستوطنة معاليه ادوميم «متوقفة». السلطة الإسرائيلية تقود حرباً بلا توقف على مجموعة الـ«420»، ولكن الأخيرة كانت تتوقع هذا الأمر. لذا، نجحت في استباق كل خطوات عدوها. نصف سكان المستوطنة تركوا المكان، مطمئنين أنفسهم أنهم سيعودون «قريباً».. بعد نحو 15 يوماً». خمسة منهم، بعدما قرأوا رسالة مفتوحة للاجئ فلسطيني، تبدأ على الشكل التالي «أمي تركت حيفا في فلسطين لـ15 يوماً، في العام 1948، وكان عمرها 4 سنوات. ماتت في عمر 90 سنة في عمّان. أكتب لكم اليوم ونحن في العام 2054». بعدما قرأوا الرسالة، قرروا أن يذهبوا إلى الأراضي الفلسطينية لمحاولة فهم الأمر، ثم ظلوا فيها لينتجوا فيلماً. سارة بن شيبان واحدة من هؤلاء، تقول: «لن أدّعي أن الأمر سهل. لكن بالتأكيد، عرفتُ أن أمراً ما خاطئاً يجري هنا. أردت أن أفهم. الناس هنا يعرفون ذلك منذ أجيال. سيساعدوننا لنفهم. ربما سيترك ذلك بعض الألم عندنا، فليس من السهل على أحد أن يعترف أنه كان جلاداً بشكل ما. لكن الغريب أني رغم الألم شعرت بالتحرّر من عبء ثقيل. كل هذا الذي يجري غريب بالفعل!».

عملت مجموعة الـ«420» على هذا البرنامج منذ 10 سنوات. ومستوطنة معاليه ادوميم كانت أول معركة وبداية حرب الكترونية عالمية جديدة. على مدونة أحد أعضاء المجموعة نقرأ: «كان يجب أن نجد طريقة لنحارب الظلم. نحن لا نريد أن نموت.. الحرب التقليدية خطيرة، وليست بالضرورة فعّالة. القانون العادل لم يكن يوماً قانون الأقوى. كثيرون يصفون جيلنا أنه فاقد للصبر.. حسناً، هذا صحيح. نحن غير صبورين فعلاً!».

وبينما اتحدت الحكومات لإدانة ما سمّته «الانحراف الدكتاتوري لمجموعة إرهابية»، ظهرت لافتات في كل العالم، عند الجماعات المقهورة والمضطهدة، وعند أولئك الذين فقدوا الأمل، كما في مدن الصفيح في المكسيك وعشوائيات القاهرة واسطنبول، حيث مثلاً نستطيع أن نقرأ: «نحن في العام 2054، سياراتكم صارت تعبر السماء، ونحن ما زلنا نموت من الطاعون. العدالة الآن!».

قبل نحو 20 عاماً، دخل العالم في مرحلة جديدة من تقنيات التواصل عالية الكثافة. كثيرون رفضوا متمسّكين بالقديم. يبدو أن الردّ على هذا الرفض جاء من فلسطين.

فرات شهال الركابي
سينمائية لبنانية ـ عراقية

حماقات السبعين

في عيد ميلاده الثاني والسبعين، الكاتب التونسي أيمن الدبوسي: «لا زلت أشرب زجاجة ونصف من النبيذ يوميّا وأحلم بالذهاب للعيش في أميركا

خصّ الكاتب التونسي أيمن الدبوسي جريدة السفير العربي بلقاء حصري بمناسبة صدور كتابه الجديد، «حماقات السبعين»، وهو الكتاب الثالث والعشرون في مسيرته الأدبية التي استهلها بـ«أخبار الرازي: مُذكرات النفساني» التي نشر جُزء هام منها على أعمدة السفير منذ أربعين سنة. وكان النفساني قد انقطع عن التأليف بعد انتفاضة 6 شباط/فبراير 2043 التي أدت إلى إعلان الجمهورية الثالثة في تونس، وصياغة دستور جديد، شارك الكاتب في إنجازه إلى جانب كُتّاب آخرين من جيل العشرينيات، على غرار الروائي كمال الرياحي الحاصل على جائزة نوبل للأدب، والفيلسوف عدنان جدي. وعن سبب انقطاعه عن التأليف طوال ما يُقارب العشر سنوات قال الدبوسي:

«أعتقد أن المشاركة في إعداد دستور للأجيال المُقبلة هو عمل إبداعي شاق، يتطلب جهداً تخييلياً جباراً، يفوق حتى ما تقتضيه كتابة الرواية من قدرة على التخييل. فأنت هذه المرة لا تكتب لنفسك ولا تكتب لجمهور من القراء أو لأي قارئ كان، وإنما تكتب «للآتي»، لأولئك الذين لم يولدوا بعد. الذين صاغوا الدستور السابق كانوا بلا خيال، ولم يغيروا شيئاً من سقفهم الرمزي، ولذلك لم يصمد ذلك الدستور طويلا، فكُتّابه كانوا غير قادرين على الذهاب أبعد من أنفسهم. وقد اخترتُ الانسحاب ولزوم الصمت بعد مغامرة الدستور الجديد، مُكتفياً بمتابعة تطبيقاته على أرض الواقع. فقد يحدث للكاتب أن تتحول بعض رواياته إلى أعمال سينمائية، أما أن يتحول أحد نصوصه إلى شيء واقعي، يرى تطبيقاته العملية كل يوم، فهذا أمر نادر الحدوث ويتطلب كل المتابعة والاهتمام».

سميرة بدران ـ فلسطين

وكنا قد زرنا الدبوسي في بيته بحي «لافاييت» بالعاصمة التونسية، وهو منزل جميل ومُتواضع بالطابق الخامس بإحدى العمارات القديمة التي تعود لأوائل العشرينيات من القرن الماضي. وعن سرّ تعلّقه بهذا الحي، قال الكاتب: «اخترت الإقامة هنا لأني عشت في هذا الحي أجمل سنوات طفولتي، رغم أنه فقد الآن الكثير من جماله وسحره وذهب عنه طابعه المعماري الفريد. فباستثناء هذه العمارة، التي أفعل ما في وسعي لئلا يقع هدمها وإزالتها، لم يبق من «لافاييت» القديمة أي شيء».

أما عن مستشفى الرازي الذي وقع إغلاقه أواخر العشرينيات، فقد قال الكاتب: «أعتقد أن مروري بمستشفى الرازي كان محطة هامة وضرورية في حياتي، رغم أني لا آسف على مغادرتي له إطلاقا. فقد أدركت سريعاً بأنني أنتمي روحيّا إلى المرضى أكثر من انتمائي إلى النفسانيين والإطار العلاجي، وبالتالي فإن بقائي هناك كان أمراً صعباً للغاية ومُضرّا، لأن الشيء الوحيد الذي يُفكر فيه المريض هو مغادرة ذلك المكان الشاحب».

وقد لاحظنا أثناء حوارنا معه، بأن الكاتب كان يحمل ندبة حديثة على صدغه الأيسر. ولما سألناه عن سرّ ذلك الجرح، أجاب أن زوجته هاجمته بسكين أثناء نومه، بعد أن عثرت على مجموعة هامة من رسائل حُبّ كان يتبادلها سرّا مع ممثلة مسرحية شابة. وقد أرانا كذلك ندبتين أخريين على ذراعه اليسرى، قائلا بابتسامة لطيفة بأن زوجته كانت غاضبة بعض الشيء لمّا قامت بذلك الأمر، رغم أنها باتت تجده أكثر جاذبية في ما بعد بفضل تلك الندبة. وفي ما يخص مصير تلك الرسائل، وإن كان يُفكّر في نشرها، أوضح الكاتب في أسف بأن زوجته قد أحرقتها بالكامل ولم يحتفظ منها بغير حفنة رماد شربها محلولة في النبيذ.

وعن صحّته، قال الدبوسي إنه لا يزال قادراً على صعود طوابق العمارة الخمس من دون أن يأخذ قسطاً من الراحة، رغم أنه عانى من قرح في المعدة اضطره للتوقف عن الشرب لمدة سنتين، لكنه عاد الآن إلى لياقته السابقة ويحتسي يومياً زجاجة ونصف من النبيذ.

– هل تعتقد بأن موضوعات الجنس والجنون والطابع الانتهاكي الذي تتسم به كتاباتك عموماً هو ما جعلك لا تبلغ الجمهور العريض من القراء؟

– «لا أعتقد ذلك، وعلى العموم فأنا أفضل أن أكون مجهولا بقيمة وعبقرية سليم بركات، على أن أكون شمساً خداعة على شاكلة (...)، وغيرها من الكتاب الذين لم يعد يلتفت إليهم أحد اليوم. هناك كُتاب يكتبون للمستقبل، نُعيد اكتشافهم ونكتشف بأنهم دائماً أمامنا مهما تقدم بنا الزّمن».

– والشيخوخة، والإحساس بتأثير الزّمن؟

– «الشيخوخة طفولة ثانية. أعتقد بأن الناس لا يهتمون كثيرا بالشيوخ والأطفال. هذا يمنحك مساحة من الحرية واللامسؤولية التي لا يحظى بها الشباب والكهول. أنا لا أحسّ بأني شيخ إلا عندما أتذكر بأن أغلب معارفي هم من الأموات. لكن حتى ذلك لا يُؤثر فيّ كثيراً لأنني تعلمت صحبة الأموات منذ أن اخترت أن أقضي أغلب وقتي في مطالعة الكتب».

وعن أحلامه وآماله، قال الكاتب بأنه لا يزال يحلم بالتخلي عن كل شيء والذهاب للعيش في أميركا، مذكراً بقولته الشهيرة: «ما كتبتُ إلا وشعرتُ بأنني أصير أميركياً، وعليه، فأنا كاتب أميركي وإن كنتُ أكتب بالعربية.» وتجدر الإشارة إلى أن أميركا كانت إحدى التيمات الرئيسية في مُدونة الكاتب، وأكثرها غموضاً وإثارة للجدل، رغم أنه لم يُسافر إليها ولو مرة واحدة طوال حياته. وقد ختم يقول في ذلك الشأن، «ما من امرئ إلا وله أميركا».

وفي سؤال أخير: ماذا بعد «حماقات السّبعين»؟ ردّ الكاتب: «حماقات الثمانين».

أيمن الدبوسي
كاتب واختصاصي في علم النفس، من تونس

.. بألف كلمة

فلسطين .. يوم الأرض 31 آذار / مارس

شتلة نعناع من حيفا ـ بثينة سارس

مروة طربية

بابونج النقب ـ محمد بدارنة

مدونات

ورقة من غزّة

أتعرف؟ تغيّر كل شيء، حتى نحن تغيّرنا ولم تعد مشاكلنا على صلة وثيقة بحسابات القوة وسياسات الاخضاع. صارت مشاكلنا من النوع الذي يتطلّب إضاءة خافتة وطبيباً نفسياً وأريكة مريحة.

هل لأننا بلغنا الثالثة والستين؟ ألم يكن هذا عمر الرسول محمّد حين مات؟ هل تتذكر كيف شرحوا لنا في دروس الدين كيف كان الصحابة في آخر أيّامه يصبّون على جبهته الماء البارد فيتبخر؟ يا لهول الصّورة. أليست شوارع مدينتنا، تاريخياً (لا أحد يستعمل كلمة «تاريخياً» هذه الأيّام) أليست امتداداً لجبهة النبيّ المحموم؟ كم صبوا عليها صواريخ وتبخّرت؟ أتتذكّر؟

قبل أيّام، كان صديقنا المشترك حسن (حسن الذي كان يحبّ ممارسة العادة السريّة على صورة تسيبي ليفني، هل تتذكره؟) يقود بي السيارة على طريق العريش حيث ذهبنا لتناول السمك. سألني «أتحنُّ إلى صوت القصف؟ « فأقول له «للأسف». عزائي، ربّما، أن الأولاد ليسوا مثلي. هم مشغولون بأشياء عاديّة: إقرار قانون زواج المثليين، حفلة موسيقيّة لفرقة لا أستطيع لفظ اسمها، مهرجانات ومعارض وأشياء أخرى من هذا القبيل. ماذا بوسعي أن أقول؟ أراقبهم حين يأتون مع أصدقائهم إلى البار وأستمع إلى صخب نقاشاتهم وأدرك الفارق النوعيّ. في إحدى المرّات كادوا يكسرون الطاولة عندما اختلفوا حول تقييم أداء وزيرة الداخلية الجديدة. مجانين!

تغيّر كل شيء يا صديقي لكنّ صوت البحر لم يتغيّر. أكتب لك وصوته يأتي من نافذة البار حنوناً ومغزولاً كالسجّاد. أكتب لك سطراً وألقي على البحر نظرة. أسرح وأمسك بذاكرتي وأعصرها كما كانت تفعل جدّتي بممسحة البلاط محاولاً أن أعيد بناء المشاهد التي ولّت. أشرع مثلاً في استحضار ذلك الصباح الذي جئت فيه مع أولاد عمّي قبل خمسة عقود لنسبح في الخامسة فجراً. امتدّ البحر أمامنا كالمرآة. كان الماء صافياً وكذلك كنّا. كان ثمّة آخرون على الشاطئ. مجموعة من كوادر حماس. هل تتذكر حماس؟

اسمع، أنا لا أريد أن أبدو دراميا، لكن المرء لا يعرف متى ينطفئ في داخله الضّوء ويقرر جسده أن الوقت قد حان كي يخلد إلى الرّاحة. كما أنني لن أعطيك وعوداً فارغة. نعم، تغيّر كل شيء وصرنا، أنا وأنت وكل من في عمرنا، أشبه بالنصب التذكاريّة المتنقلة في بلاد عادت لتمشي على خطِّ العيش العادي، وصارت تأخذ وقتها في تسريح شعرها وتذهب في نهاية الأسبوع إلى السّينما. لكنني أحلف لك بحبِّنا المشترك للكنافة النابلسيّة وصواريخ الأرض – جو أنّ البحر لم يتغيّر.

لا يزال هذا الأزرق الكبير كما كان. يتذكر الشهداء بالاسم والصّورة. يعرف كم بكينا، كم اغتربنا، وكم غنّينا، وكم ضقنا بعلاقات حبٍّ قضت عليها حسابات الإقليم والمرحلة. على ذكر الحب، كيف وضْع الحب معك يا نصّاب؟ تعال وحدّثني عن آخر مغامراتك. تعال نجلس على شاطئ بحرنا الذي لم يتغيّر.احجز أقرب طائرة وتعال. عازمك على أحلى بيرة!

محمود عمر

تنشر بالتزامن مع مدونة «سيرة لاجئ» الفلسطينية
mahmoudomar.net